الفونتيك والفونولوجيا

عَرف الدرس الصوتي الحديث عند الأوربيين مصطلحين رئيسيين هما (Phonetique) و (Phonologie)، وهما اللذان كانا مدار اختلاف الدارسين منذ مطلع هذا القرن، ولا بد قبل أن ننتهي إلى ما استقرت عليه الآراء عامة من أن نلمَّ بشيء من تطور دلالة هذين المصطلحين، وأول ما يذكر في هذا الصدد هو:

١. مفهوم فرديناند دو سوسير (ت ١٩١٣م): الذي استعمل (الفونيتيك) للدلالة على العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، وهو لذلك جزء من اللسانيات.

٢. مدرسة براغ اللغوية*: ولا سيما تروتسكوي (ت ١٩٣٨) استعملت (الفونينبك) عكس استعمال دو سوسير، إذ رأت أنه ليس علماً لسانياً بل هو مساعد للسانيات، لأنه يدرس الأصوات دراسة علمية لا تخص لغة بعينها.

٣. الدراسات الإنكليزية والأمريكية استعمال إذ شاع استعمال (الفونيتيك) بمعنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنّفها ويحلّلها من غير إشارة إلى تطورها التاريخي. فهو بذلك فرع من اللسانيات الوصفية.

٤. وجهات نظر أخرى: لم يفرقوا بين الفونيتيك) و (الفونولوجيا)، لأن أحدهما يعتمد على الآخر، وهما يتناولان مادة واحدة هي الأصوات، لذلك جُمِعا معاً تحت أحد المصطلحين : (الفونيتيك) أو (الفونولوجيا).

وبالرغم من تعدد الآراء فإن معظم اللسانيين عرَّفوا (الفونتيك) بأنه: العلم الذي يدرس أصوات الكلام دون النظر إلى وظائفها اللغوية أو تحديد اللغة التي تنتمي إليها.

(*) وهي مجموعة من الباحثين الاوربيين الذين التفّوا حول عالم اللسانيات التشيكي ماثيسيوس، تشكّلت عام ١٩٢٦م وأهم ما جاءت به: التركيز على الجانب الوظيفي في اللغة ودراستها، ويقوم منهج الدراسة فيها على الاهتمام بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

وكما اختلفت الآراء في تحديد مصطلح (الفونتيك) فقد اختلفوا في تحديد مصطلح (الفونولوجيا) فذهبوا مذاهب عدة هي:

١. استعمله دو سوسير لدراسة آلية النطق.

٢. مدرسة براغ فعلت العكس، إذ جعلته فرعاً لسانياً يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية.

٣. استعملت الدراسات الإنكليزية والأمريكية (الفونولوجيا) عنواناً لدرس تاريخ الأصوات والوقوف على التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، وبذلك صار مصطلح (الفونولوچيا) يعني الدرس التاريخي للأصوات.

لكن معظم اللسانيين الذين حددوا (الفونينبك) كما رأينا بدرس أصوات الكلام دراسة علمية لا تتصل بالوظائف اللغوية.

كما استقرت الآراء على تعريف (الفونولوجيا) بأنّه العلم الذي يدرس النظام الصوتي للغة معينة بعد أن يبين وحداته وطرق ائتلافها، وما يطرا عليها من تغييرات تاريخية وتركيبية.

وحين دخل مصطلح (الفونيتيك) درسنا اللغوي الحديث أبقاه بعض الدارسين دخيلاً ، فقال : فونتيك دون تعريب، كما ترجم إلى (علم الصوت)، و(علم الأصوات) و(علم الأصوات النطقي).

وكذلك كان شأن مصطلح (الفونولوجيا)، إذ تعددت مذاهب المترجمين والدارسين العرب المحدثين في إدخاله العربية. فمنهم من فضَّل استعماله كما هو (الفونولوجيا) ومنهم من حاول تعريبه إلى علم الفونولوجي، ومنهم من اقترح له تسميات عربية كـ (علم وظائف الأصوات) و (علم الأصوات التشكيلي) .

وهناك مصطلح آخر هو (المورفوفونولوجيا): (Morphophonologie) ويعني بالمسائل المشتركة بين علمي الأصوات والصرف، ويمكن أن يعبر عنه بـ (علم الأصوات الصرفي)، أو (الصوتيات الصرفية).

يقسم (الفونيتيك) أي علم الأصوات إلى أربعة أقسام

١- علم الأصوات النطقي أو الفيزيولوجي ويدرس مخارج الأصوات الكلامية وطريقة نطقها، ويبين أعضاء النطق ويصف عملها، ويصنف صفاتها.

٢- علم الأصوات الفيزيائي أو السمعي، ويدرس الموجات الصوتية الصادرة عن جهاز النطق،

وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة في ذلك من النواحي الفيزيائية.

٣- علم الأصوات السمعي أو الإصغائي. : ويدرس جهاز السمع عند الإنسان، ويحلل العملية السمعية، ويوضح ماهية الإدراك السمعي وأثره في وصف الأصوات.

٤- علم الأصوات التجريبي أو المعملي: ويدرس خصائص الأصوات الكلامية باستخدام الأجهزة وصور الأشعة وغير ذلك من أدوات مخبرية متعددة.